قبرص بين العرب المسلمين والبيزنطيين

(٢٨-٣٥٥هـ/٦٤٨-٩٦٥م)

د. طه خضر عيد*

المقدمة:

برزت اهمية قبرص الستراتيجية ، الحربية والتجارية منذ القرن الاول للهجرة /السابع للميلاد . ولذلك فمن يسيطر عليها يهدد بخطره السواحل المجاورة في الشام واسيا الصغرى وحتى مصر ، فتنبه العرب المسلمون الى خطورتها لقربها منهم ولاتخاذها قاعدة بحرية بيزنطية ، وتعد محطة تجارية بين سواحل البحر المتوسط وغربه ، يمر منها الطريق التجاري المعروف فقرر العرب المسلمون فتحها وتم ذلك والزموها بشروط تجعلها تقف على الحياد ولم يستقر العرب المسلمون في قبرص كثيراً بل كانوا يراقبون تنفيذها ، لبنود الصلح "المعاهدة" طيلة المدة (٢٨-٣٥٥هـ/٦٤٨-٩٦٥م) فدفعت لهم الجزية وقدمت السخرة وقد تعرضت لحملات تاديبية في العصرين الاموي والعباسي نتيجة اخلالها بالصلح .

اولاً: فتح قبرص

تقع جزيرة قبرص " قبرس في المصادر العربية " في الشمال الغربي من حدود الدول العربية الاسلامية وفي الجهة الشمالية الشرقية من البحر المتوسط . ولاتبعد كثيراً عن سواحل بلاد الشام وتعد ثالث جزيرة من حيث المساحة في البحر المتوسط بعد صقلية وسردينيا ، وكانت من

---

* قسم التاريخ/كلية التربية /جامعة الموصل .

الناحية السياسية اقليمياً تابعة للدولة البيزنطية (٣٣٠-٦٤٨م) [١] . بعد انطلاقة حركة التحرير والفتح الاسلامي التي تم فيها تحرير بلاد الشام ومصر من السيطرة البيزنطية اتجهت حركة الفتح لتشمل كل المناطق القريبة من الدولة العربية الاسلامية فكانت قبرص من هذه الاهداف، وترى المؤرخة الك.خرستوفيلوبولو Aik.Christophopolou ان اول هدف وضعه العرب بعد تحرير العراق وسوريا ومصر ، هو هذه الجزيرة الكبيرة (قبرس) ذات الموقع الجغرافي والستراتيجي الفريد ،لانها اصبحت تشكل خطراً على العرب الساكنين على السواحل السورية والشواطئ الاخرى لاسيا الصغرى .[٢] ولابعاد هذا الخطر البيزنطي ولتأمين حدود الدولة العربية الاسلامية كان لابد من فتح هذه الجزيرة ،الا ان العملية ليست ممكنة الان لان العرب لم يمتلكوا بعد قوة بحرية كبيرة قادرة على فتح الجزيرة ولم يتحقق ذلك في بداية الخلافة الراشدة وتأخر الى زمن لاحق [٣] .

كان الاستعداد لفتح قبرص الحافز الاول والبداية المشجعة لاهتمام العرب المسلمين بالبحرية في هذه الجهات مستفيدين بما لديهم من عناصر وامكانات تدخل في صناعة السفن لاسيما خبرات سكان الشام والمواد الاولية من اخشاب وحديد ودور صناعة في مصر .[٤]

ترجع فكرة الحملة البحرية الى قبرص وفتحها الى والي الشام معاوية ابن ابي سفيان ومكاتباته الى الخلفاء الراشدين ففي عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ)(١٤-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٤م) استأذن معاوية من الخليفة عمر (ﷺ) لركوب البحر وفتح قبرص معللاً ذلك بسهولة المهمة وخطورة الجزيرة على السواحل العربية فيشير الطبري "ان قرية من قرى حمص ليسمع اهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم "[٥] ،فرد عليه عمر يأمره

برمرمة حصون السواحل وترتيب المقاتلة فيها واقامة الحرس ومناظرهـــا واتخاذ المواقيد فيها [٦] ويأتي رفض الخليفة بالايذان لمعاوية في ركـــوب البحر خوفه على ارواح المسلمين الذين لم يتعودوا بعد على ذلك وامتثـــل معاوية لامر الخليفة فحصن الثغور في هذه الجهات [٧].

ويتفق كل من الطبري ،البلاذري ، قدامة ،وثيوفانس [٨] علـــى ان فتح جزيرة قبرص قد حدث في عهد الخليفة عثمان بن عفـــان (ﷺ) ففـــي سنة (٢٧هـــ/٦٤٨م) كتب والي الشام معاوية الى الخليفة عثمان يســـتأذنه بفتح الجزيرة ويعلمه بقربها وسهولة الامر فيها فلم يوافق الخليفـــة علـــى ذلك كما نهاه عمر من قبل ويأمره بتحصين السواحل وشحنها واقطاع من ينزل فيها القطائع ففعل [٩] .وجاءت الاحداث لتوضح خطـــورة الجزيـــرة فتكررت التهديدات من الاسطول البيزنطي الذي تغلب على بعض ســـواحل الشام واستمرار خطره على سواحل مصر لاسيما حملته على الاســـكندرية [١٠]التي انطلقت من جزيرة قبرص ،كل ذلك زاد من عزم معاوية لتنفيـــذ خطته في فتحها واستعد للامر ببناء اول نواة اسطول عربي اسلامي وحدد الى مهامه فتح مدينة طرابلس (٢٧هـــ/٦٤٧م) ومن ثم اصـــراره لضـــم اجزر الخاضعة لبيزنطة والقريبة من ســـواحل الشـــام كجزيـــرة ارواد وقبرص وردوس لتكون مراكز امامية ضد الاسطول البـــيزنطي ولدفـــع خطره عن هذه السواحل [١١]

ادرك معاوية اهمية قبرص وضرورة الاسراع في حملته عليـــها للاسباب التالية :-

- انها مصدر لغارات البيزنطيين على الشام ومصر ، كما مر .
- كونها محطة تموين في الطريق البحري.
- انها ملجأ يعتصمون به حين تدفعهم الاحداث الى الانسحاب [١٢]

كان تحرير طرابلس (٢٧هـ/٦٤٧م) ،وقد حفز معاوية للاقدام على قبرص يضاف له دافع اخر تذكره المصادر البيزنطية وان لم يكن اساسياً هو ان سهولة تحقيق الهدف العربي كان يرتبط بالوضع الداخلي للجزيرة لانها كانت من احباس بيزنطة الا انها وبمرور الزمن أهملت من وجود قوة حربية بيزنطية مرابطة فيها مما مكن العرب ان يدخلوا الجزيرة من دون مقاومة بيزنطية [١٣].

استأذن والي الشام معاوية للمرة الثانية الخليفة عثمان بن عفان سنة (٢٨هـ/٦٤٨م) مؤكداً سهولة فتح قبرص فوافق الخليفة على ذلك واذن له شارطاً عليه ان تكون امرأته معه [١٤]ليضمن صدق العزيمة في الحملة وألا يحمل الناس كرهاً الا من أراد المشاركة من المقاتلين المتطوعين وان لا يقرع الطبول وعلى معاوية ان يعينهم بالسلاح وقد شارك معاوية في الحملة جمع من اصحابة الكرام منهم : ابو الدرداء وابو ذر الغفاري وفضالة بن عبيد الأنصاري والمقداد بن اسود وعبادة بن الصامت وزوجته واخرون [١٥] ،وكانت هذه المشاركة من كبار الصحابة في الحملة قد اكسبت اولى حملات الاسطول العربي الاسلامي مظهر الفتح الجهاد والقوة بما يتناسب وحجم هذا الفتح واهدافه .

اعدت السفن لنقل القوة البحرية على ساحل عكا[***] ثم ابحرت باتجاه قبرص في ربيع الاول سنة (٢٨هـ/٦٤٨م) وهي اول حملة حربية للمسلمين في البحر المتوسط وحين رست المراكب الحربية على سواحل قبرص لم تجد مقاومة تذكر واذعن حاكمها الارخون " Archun " واهلها على طلب الصلح [١٦] ،بعد ان عرفوا اهداف العرب المسلمين من هذا الفتح.

١. أنهم لم يأتوا طمعاً في جزيرتهم وخيراتها الكثيرة .

٢. انما ليتفقوا معهم على مافيه سلامة الشواطئ العربية الاسلامية على السواحل الشرقية للبحر المتوسط التي تعرضت للخطر من جزيرتهم كما مر .

ومن المصادر ما يروي ان سكان الجزيرة رفضوا التفاوض مع العرب المسلمين اول الامر واعتصموا باسوار مدنهم وعند ذلك تقدمت القوات العربية الاسلامية نحو العاصمة قسطنينية Constantina التي تجمع فيها السكان وفيها ثروات الجزيرة وبعد حصار قصير اقتحم العرب هذه المدينة واستولوا عليها فاضطر حاكمها الى عقد الصلح مع العرب المسلمين [١٧].

وتضمن الصلح شروطاً فرضها العرب وهي تمثل بنود اول اتفاقية عربية اسلامية مع اهل قبرص ومن هذه الشروط:-

-دفع جزية خراج سنوية مقدارها سبعة الاف دينار او (وسبعة الاف ومائتين عند البلاذري) تدفع للعرب والبيزنطيين على قدم المساواة .[١٨]

-شرط العرب على اهل قبرص النصيحة وانذارهم بمسير البيزنطيين اليهم والا يطلعوهم على اسرار تحركات الاسطول العربي الاسلامي .

- ان يبطرق – البطريق عليهم منهم .

- الا يتزوج القبارصة من البيزنطيين الا بأذن وموافقة العرب المسلمين.

ويبدو من هذه البنود ان العرب لم يلزموا اهل قبرص بتقديم اية مساعدة لاسطولهم في اغارته على البيزنطيين فكان العرب المسلمون اذا ركبوا البحر لم يعرضوا لهم ولم ينصرهم اهل قبرص ولم ينتصروا عليهم [١٩] ،وقد حققت هذه البنود اهداف العرب المسلمين في ابعاد بيزنطة عن قبرص وجعل قبرص محايدة لا تنحاز الى أي طرف منهما .

اخطأ المؤرخ البيزنطي الامبراطور قسطنطين السابع (٩١٩-٩٤٥م) بقوله [٢٠] :-

ان العرب لم يستطيعوا السيطرة الكلية على الجزيرة ... وفسر كلامه هذا عندما انتهى العرب المسلمون من حملتهم بصلح " اتفاقية " مرضية للطرفين العربي والبيزنطي وعده البعض دليل انهزام الطرفين فلاغالب ولامغلوب، الا ان هذه الرواية ضعيفة لانها متأخرة وان هذا المؤرخ قد اخطأ في رواياته لاكثر من حدث عن قبرص كما سيأتي فضلاً ان الدولة البيزنطية لم تشن حملات على قبرص كما شنتها الدولة العربية الاسلامية وهو بحد ذاته دليل على تبعية قبرص للدولة العربية الاسلامية طيلة هذه المدة واضطلع الاسطول العربي الاسلامي بعد فتح قبرص على مراقبتها ليتأكد من صدق اهلها والتزامهم وليحول دون اتخاذها قاعدة بيزنطية [٢١] .

ثانيا:- العلاقة العربية البيزنطية في قبرص

من نتائج فتح قبرص ظهور الاسطول العربي الاسلامي وسيطرته على قبرص القاعدة البحرية المهمة وهي بحد ذاتها البداية لكل الانتصارات اللاحقة ضد الاسطول البيزنطي في ذات الصواري ، الجزر الشرقية ، كريت ، صقلية ، وابعد من ذلك تهديده عاصمة بيزنطة "القسطنطينية" ومحاولات فتحها اكثر من مرة [٢٢] .

تعد المدة التي اعقبت الصلح (٢٨هـ/٦٤٨م) وحتى خروج العرب المسلمين (٣٥٥هـ/٩٦٥م) غير واضحة المعالم لاختلاف الاراء وتضارب الروايات وطبيعة العلاقات العربية الاسلامية -البيزنطية في قبرص فنجد ان Jenkinis يفترض ان قبرص قد وضعت تحت القوة الاكبر التي فرضت الصلح ولصالحها وهي الدولة العربية الاسلامية وان

الجزيرة كانت طيلة هذه المدة (٢٨-٣٥٥هـ/٦٤٨-٩٦٥م) تحت سيادة وسيطرة واضحة واقليمية للدولة العربية الاسلامية التي فرضت الصلح وباستمرار واكدته كل الاحداث [٢٣] ،ويتفق معه Hill عندما يعد قبرص من القرن السابع الميلادي حتى العاشر الميلادي كانت تحت رحمة الحملات العربية الاسلامية المتكررة بسبب اخلال القبارصة بشروط الصلح (٢٨هـ/٦٤٨م)وانها لم تكن على الاطلاق جزءاً من الدولة البيزنطية [٢٤] وما اصطدام الطرفين فيها الا من اجل السيطرة عليها لاهميتها وطبقاً للصلح المذكور اعلاه فان نقض الصلح او احد شروطه انما يعني تعرض الجزيرة لهجوم بحري عربي وقد تكرر ذلك في العصرين الاموي والعباسي .

في العصر الراشدي والاموي شن العرب المسلمون حملة بحرية على قبرص في خمسمائة مركب سنة (٣٣هـ/٦٥٣م) عندما اعان القبارصة الدولة البيزنطية بالمراكب التي استخدموها في (٣٢هـ/٦٥٢-٦٥٣م) ضد السواحل العربية الاسلامية فافتتحت الحملة قبرص عنوة واقروهم على الصلح الاول وليحرم البيزنطين نهائياً استغلال قبرص واهلها [٢٥] ،ولاجل فرض السيطرة عليها تم ارسال "بعث " وة حربية من الدولة العربية الاسلامية اثنا عشر الف رجل من اهل الديوان للاستقرار في الجزيرة فبنوا المساجد ونقل جماعة من بعلبك معهم ونت لهم مدينة Paphos (Saranda Kolone) حتى يقلل من اخطار ابيزنطين ومراقبة القبارصة وبعد وفاة الخليفة معاوية بن ابي سفيان، وقرر الخليفة يزيد ان يعيد هذا " البعث " الجند الى الشام [٢٦] وفي عهد خليفة عبد الملك بن مروان اتسمت العلاقة العربية البيزنطية في الاقوار اتفاقية جديدة عقدت سنة (٦٨هـ/٦٨٨م) وتضمنت بنوداً اضافية على

الاتفاقية السابقة (٢٨هـ/٦٤٨م) منها اقتسام خراج قبرص وارمينيا وجورجيا بينهما ويقول G.Ostrogorsky عن هذه الاتفاقية الجديدة انها معاهدة سلام جديدة حققت فيها بيزنطة موارد جديدة في اقتسام خراج هذه الاقاليم [٢٧] ،ومن المصادر مايشير الى ان الخليفة عبد الملك بن مروان قد زاد الجزية " الخراج" المفروضة في صلح (٢٨هـ/٦٤٨م) على اهل قبرص الف دينار والغيت هذه الزيادة في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ثم عادت ثانية في عهد هشام بن عبد الملك [٢٨] .

وفي سنة (١٢٥هـ/٧٤٢م) انتهك اهل قبرص اتفاقيات الصلح بجهز الوليد الثاني حملة تأديبية ضدهم سنة (١٢٦هـ/٧٤٣م) وعلى اثرها نقل الخليفة الوليد قسم من اهل قبرص الى سورية لكنهم اعيدوا الى موطنهم الاصلي في عهد الخليفة يزيد الثالث سنة (١٢٧هـ/٧٤٤م) [٢٩] واستغلت الدولة البيزنطية انشغال الامويين باوضاعهم الداخلية وظهور لعباسيين ، فهجموا على قبرص ودمروا الاسطول العربي الاسلامي بالقرب من ميناء كرامون القبرصي فاصبحت موازين القوى البحرية لصالح بيزنطة في هذه المدة [٣٠].

ويبدو ان العصر الاموي لم يشهد سياسة ثابتة للخلفاء الامويين تجاه قبرص للاستقرار فيها بسبب تقلب مواقفهم كما مر ويعود ذلك الى عدم وضوح اهمية قبرص كمنطقة استقرار في هذه المدة والى اوضاع الدولتين العربية والبيزنطية [٣١] اما في العصر العباسي فقد جاءت الاحداث لتوضح اهمية استمرار فرض السيادة العربية الاسلامية على قبرص والاستمرار على اتفاقيات الصلح السابقة نفسها وتعامل الخليفة ابو جعفر المنصور(١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٥م) مع اهل قبرص معاملة حسنة وانصفهم ورد عليهم الالف دينار التي فرضها عليهم الامويين وقال

" نحن احق من انصفهم ،ولم يكثربظلمهم " فردهم على صلح معاوية (٢٨هـ/٦٤٨م) [٣٢] ، ويبدو من هذا التعامل انه عودة الى استراتيجية الدولة العربية الاسلامية لابقاء قبرص تحت سيادتها وتعرضت قبرص الى حملة قادها ثمامة بن وقاص سنة (١٥٧هـ/٧٧٣م) ثم هاجم ايسورا في السنة نفسها [٣٣] وكانت قبرص مكانا للنفي لكلا الدولتين العربية الاسلامية والبيزنطية فمن جانب بيزنطة هدد القائد البيزنطي ميخائيل لاخناذراكون قائد بند تراقيسون الملتزمين بعبادة الايقونات بسمل عيونهم ونفيهم الى قبرص سنة (٧٧٠م) اذا لم يتخلوا عن الرهبنة والزواج [٣٤] ،وان نقلهم الى قبرص يوحي لنا ان هذه الجزيرة كانت منفى عاما ولم تكن باي حال من الاحوال تحت سيادة بيزنطة وكان لمذهب القبارصة الايقوني مشجعا على ذلك .

توالت حملات العباسيين التأديبية لجزيرة قبرص حال اخلالهم بشروط الصلح فشن الاسطول العباسي سنة (١٧٣هـ/٧٩٠م) هجوما في عهد الخليفة هارون الرشيد [٣٥] مما يدعو الى القول ان الاسطول البيزنطي الذي اسر بضع بسفن عباسية في طريقها من مصر الى الشام انه كان يراقب مشروع حملة عباسية على قبرص وقد تمكن الاسطول العباسي من انزال قواته الجزيرة وهزموا الاسطول البيزنطي الذي هاجم الجزيرة واسروا اميره في خليج اتاليا [٣٦].

استمر الهدوء قرابة عشرين عاما بين الحملة الاولى (١٧٣هـ/٧٩٠م) والثانية (١٩٠هـ/٨٠٥-٨٠٦م) حتى هاجم الاسطول العباسي قبرص عندما تمرد سكانها ولم يلتزموا بدفع الجزية المقررة عليهم وقاد الهجوم العباسي القائد حميد بن معيوف قائد الثغور البحرية على الشام ومصر وبلغ قبرص وسبى من اهلها سبعة عشر الفا او

(ستة عشر الفا عند الطبري) ونقلهم الى الرافقة في سورية ثم بيعوا هناك وقد بلغ فداء اسقف قبرص لوحده الفي دينار [٣٧] .

وكتب قائد الثغور عبد الملك بن صالح الى الخليفة هارون الرشيد والى فقهاء الديار الاسلامية لاصدار فتوى عن اهل قبرص فكتب الى قاضي مصر الليث بن سعد والى الفقهاء مالك بن انس ، سفيان بن عيينة ، وموسى بن اعين ، اسماعيل بن عياش ، يحيى بن حمزة ، وابي اسحاق،ومخلد بن الحسين ليفتوا في امر اهل قبرص ويقول عبد الملك ان اهل قبرص لم نزل نتهمهم بالغش لاهل الاسلام والمناصحة لاهل الروم والسبب هو نقضهم العهد الا ان الفقهاء ابقوهم على عهدهم [٣٨] ،خرق اهل قبرص معاهدة الصلح مرة اخرى وساعدوا بيزنطة ويظهر ذلك من بعض مظاهر النفوذ البيزنطي في الجزيرة لاسيما في سنة (٨١٣م) عندما ارسل الامبراطور ميخائيل الثاني (٨٢٠-٨٢٩م) الاموال لمساعدة الرهبان ليهربوا من كل الاقاليم البيزنطية الى سورية وقبرص لانه من انصار الرهبنة [٣٩] .ويشير القديس كونستاس [٤٠] الى تواطئ اهل قبرص لبيزنطة ويصف ذلك عند رحيله الى الجزيرة ويقول ان العرب قد اخرجوا منها موضحا " ان جميل بيزنطة كبير عندما قدمت المساعدات المالية والاقتصادية لاهل قبرص" ويرى Bury[٤١] ان الفترة المحصورة بين (٨٤٢-٨٥٦م) في عهدي الامبراطور ميخائيل الثالث وامه ثيودورا قد خضعت قبرص للسيادة البيزنطية ولكن لفترة قصيرة ،غير ان هذا الافتراض ضعيف والمرجع انه تم اخضاع الجزيرة لبيزنطة في عهد الامبراطور ليو السادس سنة (٩١٠ م) عندما سيطرعليها الاسطول البيزنطي بقيادة همريوس وقد تعرضوا لحملة من الدولة العربية الاسلامية لهذا السبب لنقضهم الصلح وباستخدام الجزيرة محطة لاعتداءاتهم ضد

سواحل الشام " اللاذقية "وضد كريت واستطاعوا قائد الحملة دميانا (٣٠٠هـ/٩١٢م) من استعادة الجزيرة الى صلحها الاول [٤٢] ،ويعترف الوصي على الامبراطور البيزنطي نقولامتيكوس ان قبرص طيلة ثلاثمائة سنة كانت بين العرب المسلمين والبيزنطين وتدفع الجزية وتقدم السخرة للعرب المسلمين وهي تخضع لهم اكثرمن بيزنطة [٤٣] .

استغلت الدولة البيزنطية ظروف الخلافة العباسية فهجمت على الثغور البرية في الشام "طرسوس وانطاكية" وعادت بقوتها البحرية صوب قبرص ،وفي سنة (٣٥٥هت/٩٦٥م) استطاعت الاستيلاء على قبرص، وبذلك انتهت السيادة العربية الاسلامية على هذه الجزيرة [٤٤] ، واستفادت بيزنطة من قوتها البحرية للسيطرة على كريت وبقية الجزر الاخرى .

ثالثا: ملاحظات عن اوضاع قبرص :

١-هل خضعت قبرص لبيزنطة !

اشار احد المصادر البيزنطية الى رواية مفادها ، ان قبرص اصبحت تحت السيادة البيزنطية في عهد الامبراطور باسيل الاول (٨٦٧هـ-٨٨٦م) ،ولمدة سبع سنوات فقط ، واصبحت بندا بحريا يقوده الاكسيو الارمني الذي حكم هذه الجزيرة [٤٥]، الا ان هذه الرواية لاتستند الى دليل قوي ، لانها لم ترد عند بقية المؤرخين ، فضلا عن ان المصدر الوحيد الذي اوردها " قسطنطين السابع " لم يتحدث عن قبرص بدقة ، وكل ما جاء به خبران مبتوران ضعيفان ، الاول : عن فتحها على يد الخليفة ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) ،وقد اخطأ في ذلك كما مر ، ثم ينقطع لمدة من (٦٤٨م حتى ٨٦٧م) ، ليورد الخبر الثاني وهو استعادة الجزيرة ،

وبيدو ان معلوماته استندت الى كتابات من عهد الامبراطور باسيل الاول ،ولم يكن شاهد عيان للحادث او معاصراً له [٤٦]، ولم يتفق مع غيره من المؤرخين في وصف الاحداث ، وجاءت اراء المؤرخين المحدثين المغايرة لذلك ، فالمؤرخ K.Dolley يجد ان ضم الجزيرة الى بيزنطة قد حصل ، ولكن في زمن لاحق ، حدده في عهد ليو السادس في سنة (٩١١م)[٤٧] ، ولفترة اشهر فقط .

يتضح ان جزيرة قبرص وضعت على الحياد الحربي طيلة المدة،وتتعرض لحملات تأديبية عربية اسلامية حال خرقها لشروط الصلح،عندما تقدم العون لبيزنطة او عند رفضها دفع الجزية .

٢-قبرص في حالة الحرب والسلم بين الدولتين :

لموقع جزيرة قبرص اهمية ستراتيجية بالغة الخطورة لكلا الدولتين كونها ملتقى بحريا لاساطيلها البحرية ، وحاول كل طرف فرض سيادته عليها ، يشجعها قربها منهم ، مما ادى الى اصطدام اساطيلهما اكثر من مرة عليها .

ففي حالة السلم ، عبر المسافرون والتجار الى الجزيرة من دون صعوبات لاسيما انها تقع على خط التجارة :سواحل الشام ومصر وقبرص -كريت-صقلية-الاندلس ، وهي محطة مهمة ، وكانت هناك ثلاثة ممرات رئيسة استخدمها المارون والمسافرون اليها وبشكل منتظم،فاتاليا وسلوقية من جهة بيزنطة على ساحل اسيا الصغرى [٤٨] والثالث من جهة الدولة العربية الاسلامية ،وكانت اكثر سهولة وامانا واكبر حركة للمسافرين والتجار العرب من سواحل الشام وطرسوس ،ومن مصر ، وقد استخدمها اهل الشام في رحلاتهم المستمرة الى قبرص، ومنها الرحلة الجماعية سنة (٨١٣م)[٤٩].

وتعد قبرص محطة تجسس بيزنطية ضد العرب المسلمين وقت السلم ،وهناك اكثر من حادثة ودليل ، فقد تعاون حاكمها الارخون واهلها مع بيزنطة اكثر من مرة ، وارسلوا جواسيسهم الى الشام وسواحله ، والى مراكب المسافرين العرب ،ورصدوا حركة الاسطول العربي ،واماكن استحكاماته ، حتى اعداد مراكبه ،ومراكز تواجده [٥٠]، فضلا عن استخدام بيزنطة لقبرص منفى لاولئك المخالفين لمذهبها الديني " اهل الايقونات " كما حدث في سنة (٧٧٠هـ).[٥١]

اما في حالة الحرب ، فسارعت كلتا الدولتين في استغلال موقع قبرص ، وعدها قاعدة امامية متقدمة ،فكانت قبرص ملتقى الطرق البحرية واستخدمتها اساطيل الطرفين كنقطة ومركز تجمع والتقاء [٥٢]،ويقول عنها قدامة بن جعفر ، اذا عزم العرب بحملة بحرية ، كوتب صحاب مصر والشام في العمل على ذلك ، والتأهب لذلك الاجتماع في برص ، ويسمى ما يجتمع فيها الاسطول [٥٣]،ولكي يعيق البيزنطيون ذلك لاجتماع ، نقدم شهادة الامبراطور ليو الحكيم Leo VI الذي يقول " عندما كانت الحملات من سورية ومصر ، ومن مناطق اخرى ،وتصل امداداتهم ضد البيزنطين ، فان من واجب قائد البند البحري البيزنطي ،ان يباشر عمله ،وينقدم بسرعة وبسرية قبل وصول العرب الى قبرص ، وان يحرق السفن العربية التي ترسو هناك ، وان تكون اتصالاته مستمرة مع البوات البيزنطية .[٥٤]

نستنتج من ذلك ان قبرص كانت المفتاح والملتقى لاي اصطدام حربي وبحري في شرق البحر المتوسط .

وكانت قبرص مسرحاً للمعارك البحرية بين الدولتين ، ففي سنة (١٢٩هـ/٧٤٧م) اصطدم الاسطول العربي القادم من اسكندرية مصر

والمتكون من الف قطعة بحرية كانت متوجهة الى اتاليا " رومانيا " فاصطدم في ميناء قبرص بالاسطول البيزنطي وقد خسر معظم قطعاته ،وظهرت القوة البحرية البيزنطية بعد هذه المعركة [٥٥].

والاصطدام الاخر حدث سنة (١٧٣هـ/٧٩٠م) عندما اجتمع الاسطول العربي من الشام ومصر في جزيرة قبرص ثم تحرك الى اتاليا ، وكادت المعركة ان تقع في خليج اتاليا الذي يعد مقر الاسطول البيزنطي .[٥٦]

واستخدم لعرب المسلمون قبرص في كل حملاتهم البحرية ضد الجزر والسواحل البيزنطية وفي معارك سالونيك وجزر بحر ايجة والمتوسط .[٥٧]

ولقبرص اهمية اقتصادية ، تكمن في خيراتها التي اصبحت واحدة من اسباب الصراع بين الدولتين عليها .

ويشير ابن حوقل الى اهمية حزيرة قبرص ، ومحاولة بيزنطة السيطرة عليها واطماعها " انها كثيرة الخير والتجارة ، والصادر منها والوارد اليها كثير ".[٥٨]

٣-ادارة قبرص :

كانت جزيرة قبرص خالية من اية قوة بيزنطية عندما فتحها العرب المسلمون [٥٩] ، ولم تذكر المصادر وجود جيش او ادارة بيزنطية فيها عدا الاتفاق مع اهلها وحاكمها الارخون، وعزز العرب وجودهم فيها عندما انتقل اليها المقاتلة الجند في العصر الاموي ، وبنوا مدينة Paphos [٦٠] ، وانتقل اليها من سكان بعلبك ، غير انهم عادوا [٦١]، كل ذلك يوضح ان حاكم الجزيرة الارخون كان يتمتع بحكم محلي ، ويحاول ان يكون محايداً ، ولذلك عاش فيها المسلمون والمسيحيون حنباً الى جنب ، واهم واجب للحاكم جمع الضرائب " الجزية " التي جاءت في اتفاقية الصلح

(٢٨هـ/٦٤٨م) ، يساعده ممثلوا الدولتين لاقتسام الخراج بالتساوي،وكان استخدام السواحل والموانئ المواجهة لكل دولة يتم بصورة واضحة،ويجد Jenkins[٦٢]، ان قبرص مجردة من السلاح ويمتلك كل من المسلمين والمسيحين فيها على الامكانات القتالية الخاصة بهم ، اما اماكن جمع الضرائب ، فهي عبارة عن افتراضات واراء توحي بوجود نواب عرب وبيزنطيين ، وتعتمد هذه الافتراضات على اشارات ختم القاضي "جون" في القرنين السابع والثامن للميلاد ،ويستند اليه مؤرخو الدراسات البيزنطية ويذكروا ان الموظفين سكنوا مع الحاكم "الارخون " ليمثلوا الامبراطور ويستشهدوا بعبارة Eis Knupkwv Eis Kuprikon التي تعني –وجود موظفين في "داخل الجزيرة " وان اقامتهم في الموانئ المواجهة للدولتين ،ففي الشواطئ الشمالية " كرايسون " كراتية البيزنطية ، اما موظفو الدولة العربية الاسلامية فاستقروا في الطرف المواجه لسواحل الشام.

ويحدد القديس دليولت (٧٢٣م)، ان قبرص كانت مقسمة الى قسمين للعرب والبيزنطين [٦٤]، ويشاطره الرأي ولكن في فترة لاحقة، ابن حوقل في القرن العاشر للميلاد عندما يقول[٦٥] " ذلك انها لم تزل قسمين نصفه للروم البيزنطين،ونصفه للعرب المسلمين ، بها لهم امير وحاكم،وايدي المسلمين مبسوطة على من جاورهم من النصارى،والنصارى ،شقان، الايقونيون واللايقونيون .

وتاتي احداث حملة هميريوس (٣٠٠هـ/٩١١م) الى قبرص واحتلالها وقتله لعدد من العرب المتواجدين في الجزيرة ، منذ العصر الاموي ، ولاغراض التجارة ،واساءته معاملة الاخرين ، واحدة من الاسباب التي اعترف بها الوصي في رسالته الى الخليفة المقتدر العباسي

، الذي يوضح ان من واجب القبارصة حماية العرب الموجودين من بطش همريوس [٦٦]، وعندما هجم دميانة في اسطوله على قبرص (٣٠١هـ/٩١٢م) واسر من سكانها الكثير ، توجه اسقف قبرص st.Demetrenais الى بغداد من اجل استعادة الاسرى ،لكنه فشل في مهمته [٦٧] ، فجاءت رسالة الوصي لتصب في الهدف نفسه .

نستنتج مما تقدم ، ان فتح العرب المسلمين لجزيرة قبرص ، قد جعلها حلقة وصل في العلاقة السلمية والحربية بين الدولتين كما ان العرب المسلمين امنوا سواحلهم من الخطر البيزنطي واخضعوا الجزر القريبة منها لهم ، واستمروا طيلة المدة (٦٤٨-٩٦٥م) اليد العليا في الجزيرة ،وما خروج العرب المسلمون من قبرص وكريت في البحر المتوسط ، والهجمات البيزنطية على الجبهة البرية الا مقدمات الحروب الصليبية (الافرنجة) التي جاءت بعد قرن من الزمان .

الهوامش :-

(*)ياقوت الحموي، شهاب الدين عبد الله ياقوت : معجم البلدان ، دار احياء التراث ،(بيروت،د.ت)،٧/٢٦.

١. Chajepsalti. K.,Cyprus from 9th-10th century. (Athens 1956),p.227 .
Pandeles,St., Anew History of Cyprus, (Athens 1985), pp.19-21 .

٢. Christophilopolou, Aik., ByzantineHisotry 610-886, (Athens 1975),Vol:2,p.51 .

٣. العريني ، السيد الباز : الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م، دار النهضة ،(بيروت١٩٨٢) ،ص١٤٢.

٤. البلاذري،احمد بن يحيى بن جابر :فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار النهضة المصرية ،(القاهرة١٩٥٦)،١/١٤٠.

٥. الطبري ، محمد بن جرير: تاريخ الامم والملوك، دار الفكر ، (بيروت ١٩٧٩)،٥/٥١،البلاذري، فتوح،١/١٨١.

٦. البلاذري،١/١٥٢،١٨١.

٧. البلاذري،١/١٥٢.

٨. الطبري ،٥/٥١،البلاذري،١/١٨١،قدامة بن جعفر :كتاب الخراج وصناعة الكتابة ، تعليق محمد حسن الزبيدي ، دار الرشيد (بغداد ١٩٨١)،ص٢٩٠.

Theophanes,Chronographia,ed. de. Boor,(Bonnae 1839),p.417 .

٩.البلاذري،١/١٥٢،١٨١،قدامة ،ص٢٠٩.

١٠.البلاذري ،١/١٥٠،٢٦٢.

(**) جزيرة ارواد، تقع بالقرب من ساحل الشام بين مدينة جبلة وطرابلس ،وهي غير ارواد(**) الجزيرة الواقعة بالقرب من القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ،والتي تعرف بأسم Cyzicus كركوس عند الاوربيين، ينظر: العدوي ، ابراهيم احمد: الاساطيل العربية الاسلامية في البحر المتوسط ،(القاهرة ١٩٥٧)،ص٢٩.

١١. Christophilopolou, op. Cit. Vol. 2, p. 51 .

١٢.العدوي،ص ٢٢.

١٣. Porphrogenitus, K.(919-945. A.D),De Thematubus,ed. pertusi, (Vaticano 1952), p. 84 .

، الذي يوضح ان من واجب القبارصة حماية العرب الموجودين من بطش همريوس [٦٦]، وعندما هجم دميانة في اسطوله على قبرص (٣٠١هـ/٩١٢م) واسر من سكانها الكثير ، توجه اسقف قبرص st.Demetrenais الى بغداد من اجل استعادة الاسرى ،لكنه فشل في مهمته [٦٧] ، فجاءت رسالة الوصي لتصب في الهدف نفسه .

نستنتج مما تقدم ، ان فتح العرب المسلمين لجزيرة قبرص ، قد جعلها حلقة وصل في العلاقة السلمية والحربية بين الدولتين كما ان العرب المسلمين امنوا سواحلهم من الخطر البيزنطي واخضعوا الجزر القريبة منها لهم ، واستمروا طيلة المدة (٦٤٨-٩٦٥م) اليد العليا في الجزيرة ،وما خروج العرب المسلمون من قبرص وكريت في البحر المتوسط ، والهجمات البيزنطية على الجبهة البرية الا مقدمات الحروب الصليبية (الافرنجة) التي جاءت بعد قرن من الزمان .

الهوامش :-

(*)ياقوت الحموي، شهاب الدين عبد الله ياقوت : معجم البلدان ، دار احياء التراث ،(بيروت،د.ت)،٧/٢٦.

١. Chajepsalti. K.,Cyprus from 9th-10th century. (Athens 1956),p.227 .
Pandeles,St., Anew History of Cyprus, (Athens 1985), pp.19-21 .

٢. Christophilopolou, Aik., ByzantineHisotry 610-886, (Athens 1975),Vol:2,p.51 .

٣. العريني ، السيد الباز: الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م، دار النهضة ،(بيروت١٩٨٢) ،ص١٤٢.

٤. البلاذري،احمد بن يحيى بن جابر :فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار النهضة المصرية ،(القاهرة١٩٥٦)،١/١٤٠.

٥. الطبري ، محمد بن جرير: تاريخ الامم والملوك، دار الفكر ، (بيروت ١٩٧٩)،٥/٥١،البلاذري، فتوح،١/١٨١.

٦. البلاذري،١/١٥٢،١٨١.

٧. البلاذري،١/١٥٢.

٨. الطبري ،٥/٥١،البلاذري،١/١٨١،قدامة بن جعفر :كتاب الخراج وصناعة الكتابة ، تعليق محمد حسن الزبيدي ، دار الرشيد (بغداد ١٩٨١)،ص٢٩٠.

Theophanes,Chronographia,ed. de. Boor,(Bonnae 1839),p.417 .

٩.البلاذري،١/١٥٢،١٨١،قدامة ،ص٢٠٩.

١٠.البلاذري ،١/١٥٠،٢٦٢.

(**) جزيرة ارواد، تقع بالقرب من ساحل الشام بين مدينة جبلة وطرابلس ،وهي غير ارواد(**) الجزيرة الواقعة بالقرب من القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ،والتي تعرف بأسم Cyzicus كركوس عند الاوربيين، ينظر: العدوي ، ابراهيم احمد: الاساطيل العربية الاسلامية في البحر المتوسط ،(القاهرة ١٩٥٧)،ص٢٩.

١١. Christophilopolou, op. Cit. Vol. 2, p. 51 .

١٢.العدوي،ص ٢٢.

١٣. Porphrogenitus, K.(919-945. A.D),De Thematubus,ed. pertusi, (Vaticano 1952), p. 84 .

وعن فتح طرابلس ينظر : العبادي ،احمد مختار : تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ،دار النهضة العربية ،(بيروت١٩٨٢)،ص٩١.

١٤. البلاذري،١/١٨١،قدامة،٣٠٦.

١٥. الطبري،٥/٥١-٥٢، البلاذري،١/١٨١.

(***) ام لماذا عكا ؟ فيعود السبب الى الاهتمام بعكا التي اصبحت واحدة من المدن الساحلية المهمة التي اهتم بها معاوية ، فاستقر فيها المقاتلون واصبحت محصلة وصالحة الملاحة . ينظر: قدامة ،ص٣٠٦.

١٦. الطبري :٥/٥٢-٥٣،البلاذري:١/١٨١،١٨٣،١٨٦،قدامة،ص ٣٦٠.
Theophanes , op. Cit. P. 363 .

١٧. الطبري :٥/٥٦، البلاذري:١/١٨١، العدوي،ص٢٤ .
Lewis, A.,Naval power and Trade in the Mediterranean 500-1100,(New York 1951). P. 56 .

١٨. ورد مبلغ الخراج (الجزية) عند البلاذري (٧٢٠٠ دينار) ،ص١٨١،اما في الصفحات ٨٣،١٨٦،(٧٠٠٠دينار) وكذلك عند الطبري:٥/٥٦،وقدامة ،ص٢٩٠ .

١٩. البلاذري :١/١٨١.

٢٠. Porpherogenitus. K. , De Cerimonis aulue byzantina ed. (Bonnae 1839) p. 657 .

٢١. العدوي ،ص٢٥.

٢٢. العدوي ،ص٢٧ .

٢٣. Presal of Danil, M. Robinson " Cuprus between Byzantiun and Islam 688-965 "In Jenkines, J.H., Studes

on Byzantine History of 9-10 century, (London 1970) p.1106 .

٢٤. Hill, I., A History of Cyprus,(Cambridge 1940). Vol:1. P. 29

البلاذري : ١٥١/١ ، السيوطي ، جلال الدين :تاريخ الخلفاء، (النجف ١٩٨٢) ،ص٥٥١.

٢٥. عن الحملة الاولى الى قبرص ينظر في المصادر البيزنطية في Philipo, A., The first Arab raid in Cyprus," In Jornal, Kyprika Chronika,3,(1925) pp. 1-30 .

٢٦. البلاذري :١٥٩/١ .

Lewis, Naval, op. Cit. P. 56-57 .

٢٧. Ostrogorsky, G., History of Byzantine state (Oxford 1980) P.124.

٢٨. البلاذري :١٥٩/١ .

٢٩. Hill, op. Cit. P. 291 .

٣٠. Christophilopolou, op. Cit. Vol::2, p. 122 .

٣١-ذياب ، محمد صابر : سياسية الدولة الاسلامية في حوض البحر المتوسط من اوائل القرن الثاني للهجرة حتى نهاية العصر الفاطمي ، عالم الكتب (القاهرة ١٩٧٣)،ص٣٦.

٣٢. البلاذري :١٥٩/١، ١٧٣.

٣٣. Theophanes, op. Cit. P. 688 .

٣٤. مؤلف مجهول : العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، (بغداد ١٠٧٣)، ٣١٢/٣.

Theophanes, op. Cit. P. 720 .

٣٥. فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاتصال الحضاري والاحتكاك الحربي ، دار النهضة المصرية ،(القاهرة ١٩٦٦)،١/٣٨٤ .

٣٦. الازدي ، ابوزكريا يزيد بثن محمد بن ياس :تاريخ الموصل ، تحقيق علي حبيبة ،(القاهرة ١٩٦٧)،ص٣١٠ .

ابن الاثير ،عز الدين ابو الحسن بن علي الكرم : الكامل في التاريخ ،تحقيق دار التراث ،(بيروت ١٩٧٩)، ٥/٣٢١.

٣٧. البلاذري:١/٢١١،٢١٥ .

ابن الاثير :٥/٩١.

٣٨. Theophanes, op. Cit. P. 779 .

٣٩. Chajipasaliti, op. Cit. P. 331 .

٤٠. Bury,
The Imperial Administravtive system in the ninth century, (London1911), p. 12.

٤١. المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين :مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار الاندلس ،(بيروت ١٩٨٢) مجلد ٢،ص٤٦٤ .

٤٢. نص الرسالة من البطريق نقولا مستيوكس الوصي على الامبراطور ومسؤول عن الشؤون الخارجية البيزنطية في
Nicae Constaninopolatinae opsitilia, p.G., p. 27-35 .

٤٣. آدم ، متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة ،دار الكتاب،(بيروت ١٩٦٧)،ص٢١.

٤٤. Hill,op. Cit.p.290 .

٤٥. Porphrogenitus, De Thematibus, p.40.

٤٦. Dolley. R. " A Forgotten ByzantineConquest of Cypros ", (Bruxeles 1948) p.220 .

٤٧. M.Robinson, Cyprus, op. Cit. P. 1011 .

وعن اهمية قبرص العسكرية والتجارية ينظر :

Vasiliv.A.A., History of Byzantine mpire, (Athens 1986),Vol:I. P. 264.

٤٨. العدوي ،ص٢٢ Theophanes, op.cit. p. 499.

٤٩. Nicae, op. Cit. P. 32.

وعن التجسس ينظر : طه خضر عبيد " العيون والجواسيس بين العباسيين والبيزنطيين حتى منتصف القرن الثالث للهجرة ".مجلة التربية والعلم (الموصل ١٩٩٨)، العدد ٢٢.

٥٠. Robinson, op. Cit. P. 1012 .

٥١. عن الحملات العربية في العصرين الاموي والعباسي ينظر ، قدامة ،ص٣٠٦ وهوامش البحث .

٥٢. قدامة ،ص ٣٠٦ .

LeoVI,Naumachica,ed.Adian,(Paris 1943),p. 19.

٥٣. قدامة ،ص١٨٨.

٥٤. Leo VI, op. Cit. P. 71.

٥٥. Jenkins, AJ. " The date of Leo VI'S Cretan expedition "In prosphora eis st. Kyriakiden.N. Hellenica4. (Thessalonica 1973).

٥٦. ابن حوقل ابو قاسم النصيبي : صورة الارض ، مكتبة الحياة ،(بيروت١٩٧٩)،ص١٨٤.

٥٧. Kyrris, E.P. " Arab-Byzantine RelationsIn Cyprus " In Graeco-Arabica, Vol.3(Athens 1984), pp. 156-164.

٥٨.عن سكان مدينة Paphos والتنقيبات الاثارية فيها اكدت وجود اثار اسلامية عبارة عن قلاع واسوار وتحصينات . ينظر :

Sirry K ,op. Cit. P. 154 .

٥٩. البلاذري :١/١٨١.

٦٠. Robinson, op. Cit. P. 1013.

٦١. Theophanes , p. 446.

٦٢. Hill, op. Cit. P. 291.

٦٣. ابن حوقل ،ص ١٨٤.

٦٤. Nicae,op. Cit. P. 32.

٦٥. Jenkins,A.J. "The Mission of st. Demterionus of Cyprus to Baghdad ", In Melanges st. Gregorie1. Annaaine de I institut de philogie et d. histore orieentnlesest tares 9 .(1949)p. 75-267. " Anote on the letter of the Amir " . of Nicholas Mysticus, in D.O.P. (1963)p.349.

٦٦. Nicae. Op. Cit. P. 34.

٦٧. Ibid. p. 34 .